## توجيه الإنفاق وتطوير آلياته



◄كثيرة هي الأموال التي تـُنفَق في وجوه الخير والإحسان، غير أنّ الكثير منها لا يؤدّ ِي الغرض المنشود، ولا يـُحقّ ِق هدف الشريعة الإسلامية ومقاصدها من الإنفاق الذي يـُراد لـه أن يساهم بتطوير المجتمع، وحلّ ِ مشاكل الإنسان، والتصعيد الروحي والأخلاقي..

فكثيرة هي المساحات والمجالات التي ينبغي أن يشملها الإنفاق، بل وربّما كان لها الأولوية في الإنفاق، لا ينفق فيها المحسنون، ولا يتطوّع أحد لجمع المال والإنفاق فيها إّلا قليلاً وبالشكل الذي لا يسدّ بعض الحاجة..

ولكي تكون صورة المشكلة أكثر وضوحاً، فلنستعرض جملة من المفردات والظواهر التي تحتاج إلى المعالجة، سواء في مجالات الإنفاق، أو في كيفيّة وأسلوب الإنفاق. فمثلاً: كَمَ هي الأوقاف والنذور والوصايا المالية التي تستوعب ثلث ميراث الميّية في غالب الأحيان.. وكم هي الحقوق الشرعية كالزكاة والخ مس والتبرّع الخيري.. وذلك برّ إحسان يحث الدين الإسلامي على الإكثار منه. غير أن الذي نلاحظه هو أن هذه الأموال لا تحقّيق في الكثير من مجالات مرفها الأهداف المتوخّاة للتشريع الإسلامي ومقصد الشريعة، والدافع الأخلاقي نحوها.. فنرى تلك الأموال ينتهي أمر صرفها إلى م ن يضع يده عليها من المتولّيين، ويوجّيهها وفق المصلحة التي يريدها هو، أو المجالات التي يقتنع هو في الصرف فيها، من غير دراسة ولا تخطيط.. وربّما ينفقها في المجالات التي تعود عليه بالأرباح بطريقة الالتواء، واستحداث العناوين الإضافية والثانوية.

ومن أمثلة الإنفاق غير الموجّه، ظاهرة الإنفاق في بناء المساجد.. فكثيراً ما نجد المساجد ومن أمثلة الإنفاق غير الموجّه، ظاهرة الإنفاق في بناء المساجد.. في حين لم تكن هناك حاجة فعليّة إلى أكثر من مسجد واحد.. غير أنّ تصوّرات الواقيف أو ربّما رغبته أو رغبة المتولّي في منافسة المسجد الآخر أو الجماعة الأخرى منافسة ظهور.. تلك المنافسة التي تُبطيل العمل، وتحوّيله من عمل خير إلى عمل رياء وحبّ للظهور.. بل ربّما نشاهد بعض الذين يُنفقون أموالهم لبناء المساجد، يسعى لأن يكون مسجده في مكان مرموق موعليه اسم المتبرّع بالبناء ليشتهر ويمُعرَف، في حين يمتنع عن بناء هذا المسجد في المناطق الفقيرة المحتاجة التي تفتقر لبناء هذا المسجد..

وثمّة مشكلة أخرى نشاهدها في الإنفاق، وهي مشكلة التوقّف عند بعض المجالات دون بعضها.. فمثلاً مَن كان لديه مال ويريد إنفاقه على شكل و َق ْف أو تبرّع لا يتجاوز في تبرّعه الشعائر المألوفة كالمسجد أو الحسينية أو توزيع الطعام أو النقود على المتسوّ لين أو المعروفين بالفقر والحاجة..

ومن مجالات الإنفاق التي لا يـُفكّ ِر بها المتبرّ عون والمحسنون إّلا نادراً، هو الإنفاق في المجال الإعلامي والثقافي.. إنّ إنشاء المؤسسات الإعلامية والثقافية وإسناد النشاط السياسي الإسلامي لهو من أهم المجالات التي تستحق أن يمُنفَق فيها.. فتأسيس محط ات التلفزيون الفضائية والمحل ية ومواقع الإنترنت وتأسيس المطابع ودور الن شر والتأليف وإصدار الصحف والمج لات التي تهتم ببناء الإنسان على أمس القيم الإسلامية، أو تأسيس الجامعات والمدارس التي تلتزم الخط والمنهج الإسلامي، أو تأسيس دور للأزياء تهتم التصاميم والموضات التي تمراعي فيها الأحكام الشرعية، لهي من أهم الأعمال الحيوية والهام قلياء المجتمع على أنسس إسلامية وإصلاحية.

إن "المساحة التي لا يفك ّ ِر المنفقون في اقتحامها والنفقة فيها إ لا نادرا ً، هي مساحة العمل السياسي الإسلامي.. مع أن "دراسة وتحليل نصوص الإنفاق في القرآن الكريم والسن "ة النبوي "ة المطه ّرة، نجدها منطبقة على الحقل السياسي وحاث "ة عليها، كما هي منطبقة على الحقول الأخرى.. إذا النفقة المستحب "ة بل الواجبة، كالزكاة مثلا ً، موج "هة لأن ت ُنف َق في سبيل ا □، وهو سبيل الخير والإصلاح، وإن "في مقد "مة مشاريع الخير والإصلاح هو الإصلاح السياسي وتثقيف الإنسان المسلم، وتعريف غير المسلم بقيم الإسلام ومبادئه السياسية الني ّ ِرة، والدفاع عنها وصد " ش ُبهات المعادين وتصحيح أفكار ومفاهيم الذين ي سيئ "ون للإسلام بفهمهم وممارساتهم الخاطئة باسم الإسلام.

وكل هذه المهام نهضت بها الحركات والكيانات السياسية الإسلامية المت جهة اتجاها فكريا وثقافيا سليما بشكل واسع ومعم ق.. وغير هذا فإن القضية السياسية قضية هام قوطيرة في حياة الأ م قد. فسعادة الإنسان واستقرار المجتمع وتقد مه، ونشر العلم والمعرفة، وردع الظلم ومكافحة الجريمة والفساد، وإقامة العدل والعيش في ظلال الحر ية والسلام، ونشر الأخلاق الفاضلة... إلخ، كل ذلك مرتبط بطبيعة النظام السياسي، ووضع الكيانات السياسية في المجتمع..

إن "بناء معارضة سياسية صالحة وسلطة سياسية صالحة، ووجود ثقافة سياسية ووعي سياسي بناء يخدم مصالح المجتمع، ويسير بات جاه القيم الإسلامية السامية، واجب كفائي، والإنفاق فيه هو أحد مصاديق الإنفاق التي حث عليها القرآن الكريم.. وهو من مصاديق قوله تعالى: (و َ ت َع َاو َ نُ وا ع َلا َى ال بر َ وَ النفاق التي حث عليها القرآن الكريم.. وهو من مصاديق قوله تعالى: (و َ ت َع َاو َ نُ وا ع َلا َى ال برموا من و َ الت ّ َق و ك ) (المائدة / 2).. وغير ذلك، فك َم من ذوي الكفاءات والتفو ق من الطلبة ح ُ رموا من إكمال دراساتهم لطروفهم الاقتصادية الصعبة.. وكم من الرجال والنساء يعاني من العزوبة وعدم التمك ّن من الزواج بسبب الفقر والحاجة، وكم هم ضحايا الحروب والاضطهاد والظلم، المحتاجين للغوث والمساعدة..

إن الانتقال بالإنفاق من حصره في مجالات التقليدية إلى الإنفاق في موضوعات يتطلّبها الوضع الاجتماعي المعاصر، بعد تعقّد حاجات المجتمع وتطوّر تقنية المعلومات وآليات نشر الفكر والثقافة

ووسائل إصلاح المجتمع؛ كإنشاء محطّات البثّ التلفزيوني الفضائية، أو تأسيس مواقع للإنترنت، أو تأسيس المسرح أو مؤسسات للتمثيل وإنتاج الأفلام، أو دور للطباعة والنشر، وصناديق لمكافحة العزوبية وإعانة الطلبة المعوزين. إنّ إقامة مثل هذه المشاريع والإنفاق عليها، أصبحت حاجة فعلية لنشر الفكر والثقافة الإسلامية، وحلّ مشاكل المجتمع، ومكافحة الفساد والظلم والانحطاط السلوكي. إنّ الكثير من هذه المشاريع كما هي وسائل علمية واجتماعية متطوّرة لنشر الإسلام والإصلاح الاجتماعي، فبالإمكان أن تعود بمردود مالي على الأهداف ذاتها، شريطة أن لا يغلب فيها الجانب التجاري على الهدف الإصلاحي.

وكَمَ° من الأموال تُنفَق بشكل استهلاكي ومتفرِّق.. كالصدقات التي تُعطى مفرِّقة على الفقراء والمحتاجين، وبالشكل الذي يحوِّلهم في كثير من الأحيان إلى طوابير متسوِّلين، يقفون صفوفا ً لانتظار الصدقة والإحسان.. أو يمدِّون أيديهم لطلب العون والمساعدة..

ولكي يتحوّل المال المنفَق، كالصدقات والهبات والأوقاف والنذور والهدايا ووصيّة الميّيت المالية والتبرّعات والخُمس والزكاة.. لكي يتحوّل هذا المال إلى مالٍ مُنتج، ويوزّع بشكل يحفظ كرامة المحتاج، أو يغطّي حاجة المشاريع والأعمال الخيرية.. لكي يتحقّق هذا، بالإمكان أن تؤسّس مناديق ومشاريع إنتاجية لتوظيف رؤوس الأموال تلك، وإنفاق أرباحها في الأهداف المُنشأة من أجلها، وتوسيع دائرة المشاريع الاستثمارية والإنتاجية ذات النفع الخيري العام..

إن ّ تأسيس جمعيات خيرية وصناديق تعاونية يساهم الجميع فيها بما تيسّر لهم، ستجمع رأسمال كبير يساهم في حلّ ً مشاكل المجتمع، وينمي الخير والبركة، ويجلب الرحمة والرضوان الإلهي..

(مَثَلُ السَّنَدِينَ يُنْفَيقُونَ أَمْوَاليَهِ مُ فَيِ سَبِيلِ اللسَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ إِ أَنْبَتَتَ ْ سَبَعْ سَنَابِلَ فَيِي كُلِّ سُنْبُلُةً ٍ مِائَةَ حَبَّتَةٍ وَاللَّهَ ُ يُضَاعِفُ لِمَنَ ْ يَشَاءُ وَاللَّهَ وُ وَاسِع ْ عَلَيِيم ُ) (البقرة/ 261).

وثمّة مسألة هامّة وخطيرة في مسألة الإنفاق، وهي الانحياز في الإنفاق على غير أُسس أو موازين محيحة، بل يتحكّم فيه عامل المحسوبية والمنسوبية وتبادل المنافع والقناعات والأمزحة الشخصية، والانتماءات التي لا تقوم على أُسس صحيحة.. فقد نهت الشريعة الإسلامية عن هذا التفريق والانحياز.. وجعلت المقياس الحاجة ومصلحة المجتمع ومشروعية المجال الذي يُنفَق فيه.. (وقُل اعْمَلُوا فسَيري ا□ُ عَمَلَكُم ورَسُولهُ

والمُؤ ْم ِنـُون) (التوبة/ 105). ◄